مقدمات عن الافلاس التاريخي للقيادات الاصلاحية - المغامرة

①

مضت أزيد من ربع قرن على الاستقلال الشكلي للمغرب، وهذا الاستقلال نفسه نتوج مرحلة طويلة من كفاح شعبنا ضد الغزو الأجنبي ومن أجل صيانة السيادة الوطنية وفرض سيادته وإرادته. مرت كل هذه العقود من الزمن التي تتوالى أجيال وأجيال من المناضلين، ولا تزال بلادنا تعاني من هيمنة الاجنبي بشتى الاساليب والأشكال بدأ بالأسلوب المباشر والاحتلال الاراضي.. ووصولا للهيمنة الثقافية والايديولوجية، ومرورا بالتبعية الاقتصادية والسياسية، ولا يزال شعبنا محروما من سيادته وحتى من حقه في المواطنة بمفهومها الكامل، معرضا للعسف والظلم وهضم حقوق الانسان، محروما من حقوقه الديموقراطية الحقة، كشعب راشد ناضج..

وبكلمة واحدة: لا تزال أهداف التحرير والديموقراطية مطروحة للانجاز كاملة غير مجزأة، بعد أن أجهضت الثورة الوطنية في مختلف الخمسيات، وآستولى الحكم المطلق على كل السلطات من خلال انقلابه في بداية الستينات، وحرمت جماهيرنا الشعبية من قطف ثمار كفاحها الوطني الجبيد والعريق، المفاخر بالبطولات والتضحيات الجسام.

واذا ما اقتصرنا على فترة ما بعد الاستقلال الشكلي فقط، وقفنا مشدوهين أمام قافلة الشهداء الذين قدموا أرواحهم بسخاء، وأفواج السجناء السياسيين مدنيين وعسكريين، وأعداد المختطفين ومجهولي المصير، أي أمام التضحيات الجسام التي قدمها أبناء شعبنا في سبيل أهداف التحرير والديموقراطية، وأمام تنوع

وعنى التجارب التي خاضوها ولا يزالون في سبيل نفس الاهداف.

وأمام الطول النسبي للحقبة الزمنية وضخامة وجسامة التضحيات، ومقابل الهزالة النسبية للمكتسبات الملموسة وطنيا وديموقراطيا، يبرز سؤال مشروع يفرض نفسه: أين الخلل؟ ولماذا هذه النكسات المتكررة وكأننا نعيد نفس التجارب ونسقط في نفس الاخطاء؟ وما هي الاخطاء تحديدا وما طبيعتها: ظرفية ثانوية وقابلة للعلاج، أم عميقة و"قاتلة"؟

لا ندعي إمكانية الجواب على هذا السؤال بما يستحق من العمق والشمولية، أي بتقصي كامل للعوامل التاريخية، والأسباب الموضوعية والذاتية التي تحكمت في مسيرة الحركة الوطنية والتقدمية المغربية، لكننا نود التطرق إلى عامل أكيد من عوامل النكسة والاجهاض ألا وهو طبيعة القيادة الاصلاحية - المغامرة التي نصبت نفسها على رأس حركة التحرير الشعبية ببلادنا، مستعملة كل أنواع الانتهازية اليمينية واليسارية، وكل أساليب المناورة السياسية والمغامرة، لتحريف النضال عن مجراه الحقيقي وتحريف تضحيات المناضلين وجهودهم المتواصلة، لا لشيء إلا لتلبية أغراضها الذاتية الضيقة، جريا وراء سراب السلطة، وتحكم تخلفها التاريخي عن طبيعة المرحلة ومستلزماتها.

إننا لا نطرح مسألة القيادة بشكل مبتور وبمعزل عن الظروف التاريخية والبنيات الكمية والنوعية التي أنتجتها، ولا بمعزل كذلك عن مستوى وعي الجماهير التناقضات الاجتماعية ومستوى وعي الجماهير الشعبية عامة، والقواعد المناضلة خاصة.. كما أننا لا نطرح مفهوم "القيادة" بالمعنى الشخصي للكلمة، بل نعني بها أولا قبل كل شيء خط ايديولوجي وممارسة سياسية يمارسها الاشخاص "القياديون" ويحاولون فرضها من فوق بدهنية معينة وبممارسة محددة.

من هذه الزاوية، سنكتفي بطرح بعض الملاحظات والتأملات

الاولية لمقدمات عن شرح وتحليل الافلاس التاريخي الذي آلت إليه القيادات التقليدية للحركة الوطنية المغربية، على أن تكون لنا عودة للموضوع في إحدى الاعداد المقبلة.

الفرز الاول: إفلاس القيادة البورجوازية الإصلاحية

لابد من التذكير في هذه المرحلة بالكفاحات البطولية والانتفاضات العارمة، في البوادي على الخصوص، التي خاضتها جماهيرنا الشعبية من جنوب البلاد إلى شمالها، دفاعا عن سيادة الوطن، ومن أجل طرد الغزاة المستعمرين التي تشكل ثورة البطل ابن عبد الكريم الخطابي أمعها وأنضجها، من حيث الأساليب والمضمون معاً والتي لم تهدأ نسبيا إلا في أواخر الثلاثينات، أي بعد مضي أزيد من عشرين سنة على توقيع عقد الحماية من طرف الملك عبد الحفيظ. ولم يتم هذا التوقف المؤقت للمد النضالي الوطني الشعبي إلا بحكم عدم التكافؤ المفرط في القوى والوسائل بين الجماهير الثائرة من جهة، والتحالف الاستعماري الاقطاعي من جهة ثانية والذي لم يتناوى في استعمال كل طاقاته وإمكانياته العسكرية الحديثة المدمرة من أجل بلوغ أهدافه في الغزو والهيمنة.

وفي أعقاب توقف الكفاح الوطني المسلح هذا، شرعت الحركة الوطنية الإصلاحية في تأسيس نفسها وتكوين تيارها السياسي انطلاقا من المدن على الخصوص، فشكلت وثيقة 1944 الشهيرة تتويجا لمرحلة التأسيس هذه، والتي جرت في عددات أساسية سيكون لها أعمق الآثار على مسيرة الحركة الوطنية عامة، وهي:

- الطبيعة الاصلاحية للحركة، اعتمادا على الفكر السلفي في حلته المغربية المناسبة وفي غياب أي برنامج واضح وعدد لتحرير المجتمع وبناءه..
- القيادة للبورجوازية الوطنية أساساً، رغم تواجد عناصر منحدرة من الوساط الشعبية، كأقلية.

- تحالف هذه القيادة مع النظام "المحمي" منذ الانطلاق، وإخضاع كل الخطوات والممارسات ~~لمصلحة~~ لخدمة مصلحة هذا التحالف...

والجدير بالذكر أن التحالف بين القصر و"الزعماء" الوطنيين لم يكن تحالفا تكتيكيا خططت له القيادة الاصلاحية ~~...~~ أو مارسته بشكل طرفي لبلوغ مكاسب وأهداف مرحلية، لا بل أنها أرتقت به إلى المستوى الاستراتيجي الذي لا ترى خارجه إمكانية خوض أي نضال وطني، انطلاقا من ~~توهمها~~ تصورها الوهمي الخاطئ على أن هناك انفصام بين النظام المخزني وقاعدته الاقطاعية المتحالفة مع الاستعمار بشكل مكشوف.

إن التوهم على أن هناك إقطاعية عميلة وأخرى وطنية، هو الذي جعل ~~القادة~~ "الزعماء" ~~الوطنيين~~ يربطون مصير ~~الحركة~~ الحركة الوطنية بكاملها بمصير ~~...~~ نفس النظام المخزني الذي أدخل الاستعمار ~~...~~ للبلاد عن طريق عقد الحماية اللئيم، ~~...~~ بدون أدنى بصيص من الاستقلالية ~~...~~ الوطني، بل ومع تسليم ~~...~~ زمام القيادة ~~...~~ للمخزن ~~...~~ ~~مطفات حاسمة~~ خلال مراحل أساسية ومنعطفات حاسمة ~~من منعطفا~~ في مسيرة الحركة الوطنية عامة.

إن هذا التحالف الفوقي هو الذي طبع سلوك القيادة الإصلاحية وتحكم في الاطروحات والشعارات والوسائل النضالية التي ~~...~~ عنها على الجماهير، وهو الذي يفسر لنا منهجيتها التي حاولت ~~...~~ عن طريقها تطويق أي مد جماهيري وطني ~~...~~ ثوري، كما ~~...~~ يتجلى ~~...~~ ذلك في ثلاث محاور أساسية في ممارستها ~~...~~ السياسية:

1- التشبث بـ"الإصلاحات" "الديموقراطية"، و"النضال السلمي" كوسيلة وحيدة لا ثانية لها، والتنكر ~~...~~ العلني لأية وسيلة أخرى ومعاداتها،

2- تغييب البرنامج الوطني الواضح وتغذية الجماهير بالاساطير والخرافات، ~~...~~ عن طريق وسائل التضليل والدعاية الواسعة النطاق ("محمد الخامس في القمر"، "الفسفاط وحده سيوفر أجرة ~~...~~ بدون عمل لكل المغاربة"... الخ)

3- ~~...~~ استغلال الكفاح الجماهيري العارم، وتوظيفه

لصالح التمهيد للمفاوضات الفوقية و"فتح النافذة" للاستعمار الجديدة.

~~واذا كانت الجماهير الشعبية قد تمكنت من~~

~~تطوير الأساليب الاصلاحية السلمية~~

واذا كانت القيادة الإصلاحية قد تمكنت في مرحلة الانطلاق من فرض محور عملها الأول، أي الاكتفاء بالمطالب الاصلاحية السلمية، فإن التحول النوعي الحاسم الذي جرى في صفوف أوسع قواعد الحركة الوطنية بدرجة اختلاط أفواج وأفواج العمال والفلاحين في صفوفها بموازات تصعيد وتيرة هجرة البوادي وازدياد حجم الطبقة العاملة.. إن هذا التحول في القاعدة الاجتماعية للحركة الوطنية سيفرض الانتقال إلى أشكال أعلى وأرقى من أشكال النضالي، بدأ بالعمل النقابي المنظم والمواجه ضد الرأسمال الاستعماري بشكل منظم وصاخب، وصولا إلى الكفاح المسلح في المدن والبوادي، ومرورا بالتعبئة الجماهيرية الواسعة في أعمال الاحتجاج والمقاومة السياسية.

إن هذه الأشكال النضالية كلها فرضت نفسها على القيادة الإصلاحية فرضا، وحتى الخلايا الاولى للمقاومة المسلحة نظمت خفية عليها وضد توجيهاتها على مسؤولي حزب الاستقلال وهذا في قراراتهم - ولم يبقى أمامها من سلوك سوى محاولة احتواء النضال الشعبي، ومسايرته، بهدف توظيفه لصالح المحورين الثاني والثالث أي: محاولة إفراغها من أي محتوى موضوعي وتغليف أهدافه بضبابية الأساطير والخرافات، مع وضع مصلحة الخزن فوق كل الاعتبارات بما فيها السيادة الوطنية وسيادة الشعب، وتمهيد الطريق للمفاوضات التخاذلية مع الاستعمار الجديد.

ضمن هذه الشروط تم إجهاض الثورة الوطنية في منتصف الخمسينات - مفاوضات ايكس ليبان وتوقيف مدها، وتحريفه إلى ميادين المساومات في النطاق المغلق، كما تعرض لذلك بإصابة الشهيد المهدي بن بركة في نفسه

الذاتي للحركة الوطنية والأخطاء الثلاث التي ألحقت بها بالغ الأضرار.

وكانت الترجمة المباشرة لهذا الاجهاض، هو تعريض الشعب المغربي للنهب والاستغلال، ومنعه من قطف ثمار كفاحه الطويل المرير، بل الحيلولة دون تمكنه من مواصلة مسيرة التحرير في الجنوب على الخصوص، وحرب هذه المسيرة بوسائل العنف والاكراه وبسوا طوق مكشوف بين الاستعمارية والاقطاعية التي وحدت صفوفها وتجاوزت خلافاتها الداخلية الظرفية الثانوية، وراء قيادة النظام التبعي.

إلا أن خيبة الامل هذه، سرعان ما أحدثت ردت فعل جماهيرية واسعة، ترجمت بنقلة نوعية في وعي القواعد المناضلة التي انكشف أمامها بشكل ملموس تخاذل القيادة البورجوازية الاصلاحية التي استقطبت خلافاتها وتبخرت خرافاتها وأساطيرها على أرضية الواقع الاستغلال والتبعية والاستعمار في حلته الجديدة.

وهذا هو المغزى العميق لقيام الانكار الوطني للقوات الشعبية الذي وضع على عاتقه أول ما وضع: تقويم الانحراف الاصلاحي البورجوازية ومواصلة النضال من أجل استكمال السيادة الوطنية والتحرير، مترجما بذلك الانفصام العميق الذي تم بين القيادة البورجوازية وأوسع فئات الشعب التي أدركت أن أهداف نضالها قد سرقت منها وتأكدت ضرورة إحداث الفرز الأول لجزء من القيادة المسؤولة عن التحالف المبهم مع الاقطاعية ونظامها المخزني، وعن مؤامرة إفراغ الاستقلال من مضمونه الحقيقي وتركه مجرد استقلال شكلي يبقى على هيمنة الاستعمار في كل المستويات الاقتصادية ما قبل والسياسية والثقافية ... وهذا الفرز الأول نتيجة طبيعية لإفلاس القيادة البورجوازية وقصورها، وعجزها التاريخي عن قيادة مرحلة الكفاح الوطني المعادي للاستعمار وحليفته الاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية، بل واستعدادها للخضوع لهيمنة هذا الحلف والاندماج فيه لاحقا بشكل من الاشكال..

الغزو الثاني : إفلاس القيادة البورجوازية الصغيرة الإصلاحية - المغامرة

إلا أن هذا الغزو الأول لم يتم على أساس الوضوح الكامل أو بمقتضى برنامج محدد وتنظيم طلائعي وقيادة منسجمة. بل أن سمته الأساسية كانت هي العفوية الجماهيرية والانتفاضة القاعدية العارمة، الشيء الذي ترك الباب مفتوحا واسعا لهيمنة العناصر البورجوازية الصغيرة ذات التوجهات الاصلاحية - المغامرة على قيادة هذه الحركة التصحيحية التي انخرطت فيها "القوات الشعبية" بشكل واسع من عمال ونقابتهم، وفلاحين فقراء ومتوسطين، ومقاومين في المدن وتنظيماتهم، وجنود وضباط جيش التحرير في الشمال والجنوب...

وباختصار شديد، فان الغزو الأول أعطى إمكانية قيام حزب جماهيري وطني تحرري ذا آفاق اشتراكية تقريبية، قواعده متجذرة في الطبقة العاملة والطبقات الشعبية عامة، وقيادته عازمة مخططته، تتيه من الطرح الليبرالي المحض إلى أطروحات "التغيير الجذري" المناهضة للهياكل الاستعمارية والشبه اقطاعية القائمة. وسيكون من الخطأ المنهجي محاولة تقييم أو نقد هذه الحركة التصحيحية العارمة بنفس المنهج الذي يمكن أن نتناول به تقييم تجربة حزب طبقي، بخطه الايديولوجي الواضح وبرنامجه السياسي وهياكله التنظيمية المضبوطة ... الخ.

إن هذه الحركة التصحيحية التحررية التي انطوت تحت لواء "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية"، بالرغم من تواقعها السياسية وبغض النظر عن تنوع وتفكك هياكلها، هي التي قادت فعلا الكفاح السياسي في المرحلة الأولى من الاستقلال الشكلي ضد هيمنة الحكم المطلق ومن أجل

التحرر والديموقراطية، ~~لا يسع المجال هنا~~ وشكلت العمود الفقري للحركة التقدمية المغربية التي عبثت وآستقطبت لأهدافها الفئات الأكثر وعيا وآستعدادا للنضال من ~~ت~~ بين جماهيرنا الشعبية الكادحة.

ولا يتسع المجال هنا للتعرض ~~لل~~ للنضالات ~~والأعمال~~ والتحركات الجماهيرية الواسعة، ومختلف التجارب ~~التي~~ التي خاضتها ~~هذا الحزب~~ الحركة الاتحادية.. سنكتفي اذن بالاشارة إلى أهم المراحل والتجارب التي خاضتها هذه الحركة، ~~الجماهيرية~~ السلمية منها وغير السلمية، الاصلاحية أو الجذرية، مركزين على تبيان دور القواعد الاتحادية من جهة، والأدوار ~~القيادية الاصلاحية~~ التي لعبتها العناصر القيادية ~~من~~ جهة ثانية، ~~وهي~~ موضوع عرضنا الرابع هذا.

ويمكن بكل إيجاز وتركيز، رسم ثلاث مراحل أساسية في مسيرة الاتحاد الطويلة والغنية ~~التي استمرت من~~ - التي آمتدت ~~حوالي~~ حقبة ~~وهي~~ تناهز الربع قرن - وهي:

- مرحلة الكفاح الوطني التحرري العارم ضد آستمرار الوجود الاستعماري المباشر، ~~كاحتلال للاراضي في الشمال والجنوب غير الاعلان من الاستقلال الشامل~~ في شكل احتلال للاراضي شمالا وجنوبا، وقواعد عسكرية فرنسية وأمريكية، ومعمرين ~~مهيمنين~~ مسيطرين على الاراضي الزراعية، وهيمنة سياسية وثقافية...الخ.

- مرحلة الربط بين الكفاح الوطني والنضال ~~الديموقراطي~~ الديموقراطي (1960-65) ~~[illegible]~~ مع تبني البديل الاشتراكي (ولو في شكل تقريبي متذبذب) ~~وهذا~~ كما جسدته مقررات المؤتمر الثاني لسنة 1962. وتميزت هذه المرحلة فعلا ~~بتوسع~~ النضالات الديموقراطي ~~الواسع~~ النطاق، وبسط الجماهير وبمساهمتها الفعالة ~~[illegible]~~ بقيادة ~~[illegible]~~ مناضلين تقدميين من أمثال الشهيد المهدي بن بركة، وآنتهت باغتياله شخصيا واغتيال واعتقال العديد من رفاقه المناضلين. هذه المرحلة رأت الحزب يربط الربط الجدلي اللازم بين النضال التحرري والنضال ضد الرجعية المحلية حليفة الاستعمار ومعتلها النظام القائم، كطريق وحيد لتحقيق الديموقراطية وفتح آفاق البناء الاشتراكي

- مرحلة المناورات السياسية والمغامرات المبهمة التي توجه من أعلى بموازات مع المحاولات التنظيمية الجادة التي تخوضها القواعد المناضلة ومن ازدواجية معها، بل وضربا وإجهاضا لها من حيث النتائج الملموسة على الساحة. هذه المحاولات الإصلاحية - المغامرة القيادية تراكبت في تشكل حلقة مفرغة طوال هذه الحقبة كلها أي عمليا منذ انتفاضة الدار البيضاء لسنة 1965، إلى شهر ماي 1983. تخللتها مراحل من المد والجزر في النضال الاتحادي، والتوضيح والفرز التدريجي في تناقضاته الداخلية وطبيعة قيادته، بدأ باختراط هذه الأخيرة في "الإجماع مع الحكم" سنة 1977، وصولا إلى ارتمائها الكامل في أحضانه من موقع الخيانة والعمالة، ومرورا بالمحاولات المغامرة التي عانت من الضعف والهزالة في الفترة الأخيرة نتيجة بعد الوعي الاتحادي وتعمقه، وظلت في حالة من الاجترار والموت البطيء، إلى أن انكشف أمرها بشكل فاضح مع بداية نفس السنة 83... وهذا هو العناصر الأساسية من الفرز الثاني الذي جسد إفلاس "الزعماء" التقليديين الإصلاحيين المغامرين، وبروز البديل التقدمي المتكامل ايديولوجيا وسياسيا. هذا الفرز الذي يحق بنا الوقوف عنده لتبيان نتائجه الهامة وبحث دواليب سيرورته الطويلة والغنية، وبالتالي أبعاده التاريخية، سلبا وإيجابا، أي حكما على الماضي وأخطائه ونواقصه البنيوية، وتثمينا للحاضر ومكتسباته التي نيلت بفضل كفاح المناضلين وتضحياتهم الجسام، وصلابتهم الثورية العالية.

~~المبادرة الإصلاحية المغامرة أثناء المسيرة النضالية~~

الإصلاح والمغامرة: وجهان لنفس العملة

إن التمعن في الأخطاء والنكسات التي تعرضت لها المسيرة النضالية

الاقتصادية ، يبرز لنا أول ما يبرز ظاهرتان متزامنتان ومرتبطتين :

- إن مسؤولية هذه النكسات تقع على عاتق القيادة التي كانت تخطط وتقرر بخلفيات وخطة خفية ، مستغلة المناضلين القاعديين وتنظيماتهم كمجرد أداة تكتيكية ، بشكل يعطي صورة واضحة عن الانفصام الغريب بين قاعدة تمارس وتناضل يوميا سياسيا وجماهيريا وتقدم التضحيات تلو التضحيات من أجل أهداف الحزب وبرنامجه ولأنها من وادي معزول وتفاجأ كل مرة بعواقب مغامرات القيادة الخفية ، السياسية منها والانقلابية ...

- إن المحاولات السياسية الاصلاحية ، والأخرى المغامرة "الجذرية" تظهر من شكلها الخارجي على أنها مختلفة أو متناقضة ، أو على أن هناك أجنحة داخل القيادة ، بعضها سياسي تكتيكي ، والآخر مكلف "بالعمل" الصحيح "..

الحقيقة أن كل المناورات السياسية التي خاضتها القيادة هي من مسؤوليتها ككل ، وكذلك الشأن بالنسبة للمحاولات المغامرة ، فلا الصنف الأول من الممارسات السلبية ولا الثاني نفذ دائما طوال التجربة بأتفاق جميع عناصر القيادة ، وليس هناك لا من موقف ولا ممارسة مغايرة يثبت العكس .

صحيح أن كل فشل لكل تجربة من التجارب يؤدي إلى جو من الخلافات والمواجهات المتبادلة فيما بين هذه العناصر ، ومحاولات التنصل من المسؤولية وإلصاق التهم بالغير ..

إلا أننا من خلال استعراض لائحة المناورات السياسية الإصلاحية المغامرة الموجهة لضرب النضال الصادق والمناضل للقواعد المناضلة خاصة وتأخير النضال الديموقراطي عامة ، لا نجد أي موقف ولا ممارسة متميزة بين مختلف عناصر القيادة التي يصنفها البعض أحيانا "كعناصر معتدلة إصلاحية" من جهة و"عناصر العمل الصحيح" من

نعود ونؤكد اذن، أن مسؤولية كل هذه النكسات تقع على عاتق القيادة بكل عناصرها، وبدون استثناء، وذلك بالرغم من بروز خلاف ظاهري ذاتي بعد فشل تجربة 1973 فالاتصالات والعلاقات والتخطيطات المشتركة استمرت حتى بعد ذلك، وهكذا نجد "على ظهر" المناضلين مرة أخرى.. جزء من القيادة للواجهة الإصلاحية كعادته من خلال دخوله تجربة "الاجماع" وصولا إلى الكشف عن موقعه الخياني العميل بشكل واضح. واستمر جزء من القيادة متستراً وراء التوجهات الثورية الطارئة للمناضلين مستغلا جديته كدهم النضالي وعطاءاتهم وتضحياتهم وحاولة البناء "قمة" من الزعامات الفارغة والمتسلطة"، وموهما المناضلين والرأي العام بالاتفاق مع الخط الثوري وكل ما يصدر عنه من مواقف سياسية وممارسة سياسية وجماهيرية، في حين أنه ظل محافظا على علاقته بالجزء الآخر من القيادة، متشبثا بنفس الأطروحات الاصلاحية - المغامرة، غير قابل لأية إمكانية في التطور واستيعاب متطلبات المرحلة الجديدة.

الحقيقة أن ما يجعل الاصلاح والمغامرة مجرد وجهان لنفس العملة، هو زيادة على التقائهما في الممارسة العملية وتخطيطاتهما الجماعية، التقاءهما الأيديولوجي وانتماءهما للطبقة البورجوازية الصغيرة الذي يحدد جوهر التوجه الإصلاحي المغامر وممارسته. وبهذا الصدد، فان الحركة الاتحادية لم تعرف هيمنة هذا النوع من التوجه والممارسة بشكل شاذ، بل أن العديد من التجارب الثورية تشهدت بروز نفس الظاهرة في مرحلة من مراحل تطورها، قبل أن يتمكن خط الطبقة العاملة والجماهير الكادحة من بلوغ النضج والقوة الكافية لهزمها ولمواجهتها.

- اتضح أنه يتعلق نقلا بعملية تصفية حسابات، وليس تبنيا بنقد ذاتي صادق، وتغيير حقيقي في الموقف والممارسة.

جهة ثانية.

إذ لدينا اليوم ما يكفي من الحقائق والمستندات لنؤكد أن هذا التصنيف لا أساس له من الصحة، وحتى إذا ما وجدت بعض الاختلافات في التمايزات بين العناصر القيادية التقليدية، من حيث التكوين والتجربة والموقع، فإننا لما أطلقنا خطاباً بشكل جماعي طوال هذه الحقبة، وخاصة تجاربها الإصلاحية - المغامرة باتفاق وانسجام، إذاً لما استثنينا الخلافات في الشكل والأساليب:

- المشاركة في الحكومة سنة 1960 وما رافقها من غموض وسماوات فوقية على صعيد الاختيار الثوري للحزب
- مؤتمر الاتحاد بسنة 1962 أي ضرب النضال الاتحادي المتجذر من خلال مغامرة المفاوضات مع سنة 1963 على ظهر المناضلين والانتفاضة الشعبية نفسها
- 1963 الوحدة الفوقية مع البيروقراطية النقابية (1967) على حساب التنظيمات الحزبية والنقابية على حد سواء

الحكم

- ضرب محاولة إعادة بناء الخلايا الحزبية على أسس سليمية عن طريق نفس الأساليب الإصلاحية المغامرة (1969) وتحمل المسؤولية الأولى والأخيرة في فشل التجربة وتحرضها للقمع والإجهاض مباغتة المناضلين بالكتلة الوطنية" كأشقاء انتخابي فوقي (1970) يلي ذلك سلسلة من "المفاوضات" والمناورات السياسية مع الحكم حول دساتيره الممنوحة وانتخاباته وعوده الكاذبة بالانتخابات والديموقراطية (طوال سنة 70 و71 و72) - إجهاض المجهودات التنظيمية الجبارة التي دشنت بعد 8 يوليوز، بنفس الأسلوب الإصلاحي - المغامر، ومنع هذه المجهودات من بلوغ أهدافها وطموحاتها في خوض تجربة ثورية أصيلة، عن طريق التخطيطات الفوقية المغامرة خفية عن المناضلين القاعديين، الشيء الذي أدى مرة أخرى إلى إجهاض التجربة وتمكين جهاز القمع الذي استفاد من الممارسات الفوقية المذكورة لتوجيه ضربات قاسمة للتنظيمات الحزبية (1973) ...

والانتهازية هي طبعا من الخصائص البارزة للبورجوازية الصغيرة وفئتها العليا بالخصوص. تحديدا. والدافع الانتهازي والقصور الطبقي هما العاملان الأساسيان اللذان يجعلان البورجوازية الصغيرة تستخف بنضال الجماهير وتخشاه في نفس الوقت، ومن ثم فإنها تسعى إلى احتوائه واستغلاله لخدمة أغراضها الذاتية والأنانية: الوصول إلى السلطة بأي طريقة كانت وبأقصى ما يمكن من السرعة

وهذان العاملان هما اللذان يفسران لنا كيف أن نفس العناصر "القيادية" تقفز من موقف إلى آخر، حسب الظرف والمصلحة: من المناورة السياسية إلى المغامرة، تارة حسب توزيع الأدوار بتكتل متفق عليه، وأخرى بشكل عشوائي، وكيف أتلفت المجهودات القاعدية الثمينة والتضحيات الجسام للمناضلين الشهداء والأحياء، واستخفت بنضال جيلان كاملان، وأخرت مسيرة الحركة التقدمية وألحقت بها أكبر الأضرار... هذه الأضرار والخسارات البالغة تكونت عن حلقة مفرغة دامت ربع قرن، وتحت نفس الأساليب والأشكال التي لا تتغير إلا في تفاصيلها تأثرا بالظرف المحيط بها، ورغم ذلك فإن القيادة الإصلاحية-المغامرة لم تستفد من تجربتها حتى من زاوية مصلحتها الذاتية في نفسها.. بل استمرت في نهج المناورة والانتهازية بشتى أصنافها، والدس والمؤامرات الموجهة ضد المناضلين، الشيء الذي يضفي على معاركها ما له صبغة "إجرام مسبق" ويوضح أن دورها التخريبي يفوق خطورة ومداخلة، دور البورجوازية نفسها التي تم الحسم معها من خلال الفرز الأول. فإذا كان البورجوازية قد تحركت بنوع من الوفاء لموقعها الاجتماعي وعبرت عن عجز "طبيعي" على القيادة مرحلة الكفاح الوطني حتى بلوغ أهدافه الكاملة، وتقهقرت نتيجة ذلك، وبسرعة نسبية، إلى مواقع تراجعية واضحة، فإن القيادة

الإصلاحية- المغامرة لعبت دورا تخريبيا أكثر خبثا وخطورة،
لأنها تاجرت لهذا الدور تحت تغطية النضال وباسمه ومن موقعه،
ولأنها تمادت مناوراتها ومؤامراتها وكونها عن سابق اصرار ومعرفة...
وإذا كانت ممارستها السياسية الإصلاحية محدودة
الآثار ومكشوفة للساحة عامة، فيسهل
بالتالي استيعابها والتصدي إليها، فإن ممارستها المغامرة المكملة،
باسم الثورة والنضال الجذري، هي الأكثر خطورة على الإطلاق،
بحيث يستعصي الكشف عنها وعزلها لأول وهلة لأنها تستعمل أسلوب
اختزال المعرفة والمعطيات باسم "السرية" و"الاحتياط"،
ولأنها توهم المناضلين بالاتفاق مع قناعاتهم وإقبالها على التطور
والتثوير، في حين أنها لا تخدم سوى نفس التوجه البورجوازي
الصغير الذي يستخف بقدرات الجماهير الشعبية وإمكانياتها
في إحداث التغيير الحقيقي، وينصب نفسه متوقيا نائبا عليها، في صورة
"بطل" قادر على حسم الموقف من فوق وبسرعة، في حين أن
النتيجة الملموسة تكون دائما بحكم هذه الممارسة:
تأخير تلو تأخير في المسيرة النضالية، ليس إلا...

البعد التاريخي لإفلاس الإصلاحيين- المغامرين

طرحنا في بداية هذا العرض السؤال المشروع المطروح لدى الرأي
العام المغربي والعربي والأجنبي على حد سواء: لماذا جسامة التضحيات
وتعدد التجارب لدى الحركة الاتحادية، لماذا هذا التباين بين جسامة
التضحيات (الجسام) وطول وتعدد التجارب لدى الحركة
الاتحادية، وبين المكاسب السياسية الهزيلة نسبيا التي حققتها؟
ومن خلال استعراض سريع للأدوار التي لعبتها القيادة الإصلاحية
المغامرة تبين لنا أن ممارساتها هاته تشكلت عاملا من العوامل الأساسية
التي أدت إلى العديد من النكسات والكبوات، إلى جانب العوامل

والمختبئة، أن المواجهة بأروع المناضلين والتلاعب بالمبادئ والمكتسبات السياسية والتنظيمية،
كما مارسات مكشوفة في الخبث والدناءة وتستخف بحركة شعبية حقيقية
وتفاعلها كما ... وتستخف بالحساسية الإصلاحيين- المغامرين بحساسية شعبية

الموضوعية والذاتية الأخرى المتعلقة بتبلور الواقع الطبقي ووضوحه، ومستوى الوعي الثوري والقدرة التنظيمية لدى القواعد الاتحادية نفسها.

* انظر الملف

وهنا تكمن الأهمية التاريخية القصوى لانكشاف الزعامات المتسلطة التي سقط قناعها بفعل معركة الساحة السياسية نفسها، وبفضل الواقع الايديولوجي والسياسي الصارم والايجابي في نفس الوقت الذي خاضه المناضلون الثوريون ضد كل أنواع الانحراف والانتهازية اليمينية والانتهازية اليسارية. إن هذا الواقع الجديد النفسي هو الذي يسمح اليوم بإقبار "الزعامات" إلى الأبد، وبنبذ "القيادات" المتسلطة بشكل نهائي، وإفساح المجال لتبلور الخط الايديولوجي الواضح والبرنامج السياسي المحدد، وهما اللذان يشكلان القيادة الحقيقية والذاتية، وينخرط بالتزام إليها المسؤولون باعتبار أن المسؤولية هي مجرد تكليف لا تشريف...

وإنه فعلا لمكسب ثمين وغاية سامية حققها كفاح الاتحاديين، بما فيهم أولئك الشهداء الذين لم تذهب تضحياتهم سدى إذ أنها ساهمت بشكل أساسي في تحقيق هذا المكسب، وفسحت المجال لوضوح الرؤيا حول بناء الأداة الثورية الضرورية لتحقيق الأهداف النبيلة التي ضحى من أجلها الشهداء، وأولئك المعتقلين القابعين في السجون...

ومما يضفي على هذا المكسب بعداً تاريخياً أيضاً، كونه لم يأتي بمعزل عن مجريات الأحداث وتطوراتها على الساحة الوطنية خاصة، وما تعرفه هذه الساحة من فرز مشابه يعزل ويهمش القيادات البورجوازية الصغيرة الهشة، أيا كان موقعها - داخل السلطة أو خارجها - بل أنه ينسجم مع التطورات التي تشهدها الساحة الدولية، ويجيب على متطلبات

(*) والجدير بالذكر أن هذا النوع من "القيادات" لم يأتي كشكل منزل أو غريب على مجتمعنا، بل إنه في نهاية التحليل مجرد إفراز طبيعي للهياكل والبنيات السائدة ببلادنا: فهيمنة الايديولوجية الاقطاعية على البنيات الفوقية أزيد من خمسة قرون، كان من الطبيعي أن تخلف آثارها في كل المستويات، بما في ذلك التسرب إلى داخل الحركة الوطنية والتقدمية والتأثير المباشر في سلوك وذهنية وتصرفات أولئك الذين ليس من عقيدة صلبة، ولا من قناعات إيديولوجية ثابتة، تحميهم وترشد خطاهم، نقاد "الزعماء" الاصلاحيين - المغامرين الطامعين إلى احتلال مكانة الحكم مستغلين بغض النظر عن الطريق الذي يؤدي إلى تلك المكانة، وضاربين عرض الحائط ليس المبادئ والخط السياسي وحسب، بل حتى الاخلاق وقيمة الانسان وحياته نفسها...

ومن الطبيعي أيضا أن يرافق هذا الافلاس التاريخي "للزعماء" التقليديين ، ولفظهم النهائي من صفوف الوطنيين والثوريين، نضج مطرد في التناقض الأساسي القائم بين الجبهة الاقطاعية - الرأسمالية من جهة، وأوسع الجماهير الشعبية من جهة ثانية، وارتفاع ملموس في وعي تلك الجماهير التي أصبحت تضع كل البنيات القديمة في الميزان، وتخوض النضالات الواسعة المتكاملة مطلبيا وسياسيا وثقافيا...

وبالتالي فان فرز القيادات الاصلاحية المغامرة والحسم معها ما هو إلا مؤشر طلائعي مبكر عن سيرورة الفرز العامة السائرة ببلادنا، والتي تعمق وتوسع هوة التناقض الأساسي، وتفسح المجال لتسلح كل الكادحين بسلاحهم العتيد من أجل خوض معركتهم الحاسم: سلاح النظرية الثورية الوحيدة: نظرية الاشتراكية العلمية...

العصر ومستلزمات: عصر انعتاق الشعوب وتحررها وإنهائها لكل أشكال الاستعمار والهيمنة والتبعية، ~~[illegible]~~ وبناء مجتمعاتها ~~الخالية من استغلال الانسان للانسان~~ العادلة.

~~قال عبد الرحيم بوعبيد في مفاوضات "ايكس ليبان" حول الاستقلال المغربي:~~

- المشاركة في الحكومة سنة 1960، والسقوط في لعبة الحكم وتزكية مخططه القمعي الموجه ضد جيش التحرير خاصة، والرامي إلى استغلال الفرصة ليتثبت وترسيخ أدوات الحكم المطلق

- المؤتمر الثاني للحزب ورافقه من غموض ومساومات فوقية على حساب الاختيار الثوري للحزب.

- ضرب النضال الاتحادي المتجذر ومحاولاته التنظيمية السليمة عن طريق مؤامرة 1963..

- المفاوضات مع الحكم سنة 1965 خفية على المناضلين وعلى حساب الانتفاضة الشعبية نفسها.

- الوحدة الفوقية مع البيروقراطية النقابية (1967) على حساب التنظيمات الحزبية والنقابية على حد سواء.